

تقدّم للجيش السوري وحزب الله في الزبداني يضع الفصائل المسلحة أمام خيارات صعبة

العملية قطعت طريق المسلحين إلى شبعاء... وتسوية لخروجهم قيد النقاش

محمد حمية

على وقع غارات طيران الجيش السوري وصواريخ المقاومة، دقت الساعة صفراً لانطلاق معركة الزبداني، وفرضت المعركة نفسها على المسلحين الذين يتحصنون في منطقة لطالما شكلت شوكة في خاصمة العاصمة السورية، ومدخلاً رئيساً للسلاح والمسلحين ذهاباً وإياباً بين لبنان وسورية. بعد 15 عشر يوماً على بدء العملية العسكرية، سيطر الجيش السوري والمقاومة بشكل كامل على المداخل وخطوط الإمداد العسكرية واللوجستية الأساسية للمدينة، لكن تأخر العمليات لبعض الوقت سببه بحسب خبراء عسكريين تجنّب الخسائر بين المدنيين، بعدما اتخذ المسلحون المدنيون مزاريس ودروعاً بشرية، إذ تبلغ مساحة المجمعات السكنية في الزبداني 50 كيلومتراً، سقطت ضواحيها بيد الجيش والمقاومة من ناحية الشمال والغرب، وأصبحوا في وسط المدينة، فيما أكد الخبراء أن خطوط الإمداد من لبنان قطعت على الزبداني باستثناء طريق مفتوح للمسلحين ليلاً باتجاه القلمون حيث يقف المسلحون إليه حالياً.

يعتمد الجيش السوري قتال العصابات ويرتكز على مقاتلي حزب الله، لأن المقاومة مسلحة جيداً ولديها كفاءة قتالية وتعرف الأرض جيداً ومدربة على حرب العصابات. فيما الجيش السوري يتفرد بسلاح الجو ويتفوق به على المسلحين. إذ شُنّ 500 غارة خلال عشرة أيام بمعدل خمسين غارة يومياً.

لا شك أن منطقة البقاع الغربي التي تتصل بالزبداني شكلت خاصرة رخوة للدخل اللبناني كما السوري، لا سيما من جهة مزارع شبعاء. فبعد العملية، قطع طريق الزبداني - البقاع الغربي للوصول إلى شبعاء، لأن المسلحين كانوا يتسللون من الزبداني إلى وادي عطا إلى شبعاء. وبعد العملية وتطهير المنطقة، توقف الإمداد إلى جنوب سورية من الزبداني، كما أن حسمها سيفتح الباب أمام ريف دمشق وتحديداً الغوطين الشرقية والغربية. لا حل لقضية العسكريين المخطفين إلا بعد تحرير شامل لكامل الجرد. وتبقى عرسال وحدها ويجمع فيها المقاتلون، لأنه كلما تصاعدت وتيرة المعارك كلما ارتفع ثمن العسكريين ويدفع المسلحين لعدم التقرب بهم.

أما عرسال التي تعيش على صفيح ساخن وتحبس الزمرد تحت الرماد، تنتظر بعين القلق ما يدور في الزبداني ليتحد مصيرها. فيما تخوف خبراء من أن انسحاب المسلحين من الزبداني تحت الضغط العسكري إلى جرد عرسال، سيزيد عددهم من 3 آلاف إلى 4 آلاف مسلح، ما يشكل خطراً على الجهة اللبنانية.

ومع انطلاق معركة الزبداني، برزت دعوات لتجنّب المدينة شرّ القتال والدخول في تسوية تعيد سيطرة الدولة على المدينة وتضمن للمسلحين حسم خياراتهم بين تسوية أو أوضاعهم أو انسحابهم للجناب، حيث قدّم أحد الوسطاء مبادرة من تسعة بنود نالت الموافقة المبدئية من الدولة السورية، وتنتظر رداً من مجموعات المسلحين.



منطقة الضمير، وينتقلون إلى البادية ومنها إلى درعا.

بنود التسوية

وأشارت مصادر خاصة لـ«البناء» أن مبادرة أعدت من تسع نقاط لإجراء مصالحة في الزبداني، وعرضت على جهات في مركز القرار السوري قبل عرضها على وجهاء الزبداني، ونالت الرضا المبدئي.

المبادرة قدّمها أمين عام «حزب التضامن» محمد أبو قاسم وتتضمن في البند الأول وقف إطلاق النار من الطرفين، ووقف القصف وضمانات وقف إطلاق النار، أما البند الثاني فينص على إلغاء كافة الشعارات المناهضة للدولة وللأهالي ورفع العلم السوري على كافة دوائر الدولة وإعادة تفعيل المخفر والمشفى وكافة دوائر الدولة والمجلس البلدي.

أما البند الثالث فينص على تسليم السلاح الثقيل والمتوسط إلى الدولة على أن يترك السلاح الخفيف. البند الرابع يفرض تشكيل لجان توافيقية غير مسلحة من أهالي الزبداني



جبهة القنيطرة. وهذه النقطة هي خطرة لأن «الإسرائيليين» يسهلون دخول المسلحين عبر مناطق القوات الدولية إلى حدود مزارع شبعاء ويدخلون من هناك إلى الأراضي اللبنانية، أو يدخلون إلى وادي جنحاً - فيحاً - أو راشيا وهذا الخطورة أن يلتفوا على منطقة قطلنة من مزرعة دير العشاير.

ولفت المصدر إلى أن أهمية المعركة هي أن طريق الزبداني - البقاع الغربي قطع للوصول إلى شبعاء، لأن المسلحين كانوا يتسللون من الزبداني إلى وادي عطا إلى شبعاء. وبعد عملية الزبداني وتطهير المنطقة توقف الإمداد إلى جنوب سورية من الزبداني.

وأوضح المصدر أنه بعد حسم الزبداني، سيفتح الباب أمام ريف دمشق وتحديداً الغوطة الشرقية والغوطة الغربية ودوما والمحيط القريب منها. فيما الأمور مفتوحة على

صعوبة اختراقات المقاومين، ما دفعهم إلى الدخول بطريقة المعدلة وبطريقة متوازنة حتى لا يتعرضوا لعملية التفاف من قبل المسلحين.

ولفت إلى أن الزبداني تؤثر على عدة جبهات، الأولى تمنع دخول المسلحين الذين يأتون من طريق البادية على منطقة الضمير إلى وادي عرسال، ثم يدخلون إلى البقاع الغربي.

الثانية أن طريق الإمداد للمسلحين من لبنان إلى الزبداني قطع، لأنه لم يعد هناك من منفذ الإبرو وادي بردى وهو مسوك من الجيش السوري ولم يعد هناك من إمداد إلى جرد عرسال لأن الطريق مقطوع بين الزبداني وجرود عرسال. ما يعني أن المسلحين فقدوا

في هذه المنطقة ظهيراً لهم إذا قروا التحرك في منطقة البقاع الأوسط أو أي جزء من البقاع الغربي.

وأضاف المصدر أن الطريق بين الزبداني والبقاع الغربي يؤثر على منطقة الجنوب السوري وتحديداً

على المسلحين. الاحتمال الثالث: التوصل إلى تسوية كما حصل في النيك وقارة ودير عطية وحمص والاتفاق مع الوجهاء لوقف الهجوم العسكري والقصف مقابل انسحاب المسلحين لكن ذلك لم يحصل حتى الآن.

وأعرب جابر عن اعتقاده أن خطوط الإمداد إلى الزبداني مقطوعة الآن وتخضع للحصار التام باستثناء بعض الطرقات الضيقة. فيما قام المسلحون بتخزين السلاح والذخيرة منذ فترة من الزمن.

الزبداني وجرود عرسال

واستعد جابر وجود أي علاقة لمعركة الزبداني بملف العسكريين المخطفين، وقال: على العكس، كلما تصاعدت وتيرة المعارك كلما ارتفع ثمن العسكريين ويدفع المسلحين لعدم التقرب بهم.

وحسّر جابر من انسحاب المسلحين من الزبداني تحت الضغط العسكري إلى جرد عرسال، وقال: بدأوا يستسحبون، ما سيؤدي إلى 3 آلاف إلى 4 آلاف مسلح. وهذا يشكل خطراً على الجهة اللبنانية سواء كان انسحاباً كيفياً أو منظماً، الانسحاب المنظّم لا يتم إلا من خلال اتفاق، وحتى الآن لا اتفاق، أما الانسحاب الكيفي يتم تحت الضغط. إما ينسحبون إلى الجهة اللبنانية، أو إلى الجنوب ويقطعون طريق الشام، وهذا مستبعد لأنهم محاصرون. لذلك، إن المعركة طويلة.

حسم الزبداني حتمي

ولفت الدكتور جابر إلى أن القرار اتخذ بحسم جبهة الزبداني، ولا يستطيع الجيش السوري والمقاومة التراجع عن هذه الحملة العسكرية. وإذا تراجع سيكون خطأ استراتيجي.

ورأى جابر أن الزبداني تشكل خاصرة دمشق وهي من الأولويات الأساسية لأن العاصمة دمشق مهددة جداً من الغوطة الشرقية ومن مخيم اليرموك ومن الجنوب من ناحية درعا، لذلك حرب القلمون والزبداني ضرورية جداً لتراجع العاصمة وتتزع هذه الشوكة من خاضعتها اليمنى والغربية، ولا تستطيع أن تبقى العاصمة في ظل تهديد اليرموك والغوطة والجنوب من درعا والقلمون لأن العاصمة تشكل أولوية مطلقة.

الزبداني وشبعاء

وأكد مصدر بقاعى لـ«البناء» أن الكثافة السكانية وقرب المنازل من بعضها في الزبداني يزيدان من

الجيش السوري قتال العصابات والارتكاز على مقاتلي حزب الله لأن المقاومة مسلحة جيداً ولديها كفاءة قتالية وتعرف الأرض جيداً ومدربة على حرب العصابات مقابل حرب عصابات يخوضها المسلحون ما يختلف عن قتال الجيش النظامي.

وأضاف جابر أن الجيش السوري متفوق بالديابات، لكن هناك أحياناً نقطة ضعف لأنه عند دخوله إلى المعركة، تصبح عرضة للاستهداف، إلا أن الجيش السوري يتفرد بسلاح الجو، إذ شُنّ 500 غارة خلال عشرة أيام بمعدل خمسين غارة يومياً، ما يجعل الجيش السوري متفوقاً على المسلحين الموجودين هناك.

وقال: مقاتلو الجيش السوري وحزب الله دخلوا إلى المجمعات السكنية في الزبداني التي تبلغ مساحتها 50 كيلومتراً، إذ سقطت ضواحيها بيد الجيش والمقاومة من ناحية الشمال والغرب وأصبحوا في وسط المدينة.

نداءات الاستغاثة

ويؤكد مصدر ميداني لـ«البناء»، أن المسلحين يطلقون نداءات استغاثة وسط حالة من الإرباك والخوف نتيجة غزارة القصف والنييران التي يرميها مقاتلو حزب الله والجيش السوري من كافة المحاور في مدينة الزبداني، في وقت تقوم الوحدة الصاروخية في الحزب بدمق معاقل المسلحين في مدينة الزبداني بصواريخ «البركان»، وتسمع أصوات الانفجارات بشكل واضح في قرى البقاع وزحلة.

وكشفت معلومات أن الخلاف بدأ حين قام فصائل أساسية من المسلحين بطرح تسوية، ما فاجأ باقي المسلحين الذين اعتبروها بمثابة خيانة لهم.

أضافت المعلومات أن هناك جواً من الاستياء يسود صفوف عدد من وجهاء المدينة وبعض التجار المحسوبين على المسلحين، والذين باتوا يحفلونهم مسؤولية الدمار الذي يلحق بالزبداني.

الاحتمالات المتاحة

وشرح جابر الاحتمالات المتاحة أمام المقاومة والجيش السوري في معركة الزبداني: الأول تدميرها عن بكرة أبيها بالطائرات والمدفعية، وهذا ما يسمى سياسة الأرض المحروقة. وهذا بحال قاتل المسلحون حتى النفس الأخير. الاحتمال الثاني:

تجنّب الخسائر في المدنيين، إذ يبلغ عدد سكان الزبداني 50 ألف نسمة، وبقي منهم 20 أو 15 ألفاً، ويمكن أن يتعرضوا للاستهداف والاكتفاء باستمرار الحصار وتصييق الخناق

كامل على المداخل وخطوط الإمداد العسكرية واللوجستية الأساسية للمدينة والساحة ومحيط المستوصف، ويعلمان على السيطرة على بعض الأحياء القديمة. لكن تأخر العمليات لبعض الوقت سببه تجنب الخسائر في المدنيين، بعدما اتخذ المسلحون المدنيون مزاريس ودروعاً بشرية.

الزبداني والقلمون

وأضاف المصدر أن خطوط الإمداد قطعت على الزبداني باستثناء طريق مفتوح للمسلحين ليلاً باتجاه القلمون، حيث يقف المسلحون باتجاه القلمون، ما يزيد عددهم في الجرد، لكنهم يعرفون أنهم محاصرون ولا منفذ لهم إلا عرسال.

وأوضح المصدر أن ما يجري داخل عرسال نسخة عما يجري في الجرد، حيث أصبحت مأوى ونقاط استراحة ومحوراً خلفياً للمسلحين المحتمين بالموقف السياسي الذي تجلّى بالخطاب الأخير للنايب سعد الحريري، الذي يضر بأهالي البلدة ولا يفيد، لأن برنامج المقاومة المخطل له مستمر وسيبقى كاملاً.

وكشف المصدر أن المسلحين وعائلاتهم موجودون داخل عرسال، ويتناوبون على الاستراحة بين الجرد والمنازل داخل عرسال ومخيمات النازحين، وهم ينتمون إلى «جبهة النصرة».

وشدّد المصدر على أن لا حلّ لقضية العسكريين المخطفين إلا بعد تحرير شامل لكامل الجرد. وتبقى عرسال وحدها. ويتجمع فيها المقاتلون. وعندها يضطرون مجبرين للتفاوض لحماية أنفسهم ولينسحبوا وعائلاتهم، وإجراء مفاوضة مع العسكريين الذين لا يزالون داخل عرسال.

موازين القوى العسكرية

وأكد الخبير العسكري العميد هشام جابر أن المعركة في الزبداني ليست سهلة كما تصور البعض، وليست قضية يوم ويومين، لأن المسلحين يختبئون في المدينة، وهم مسلحون ومستعدون منذ سنتين وأكثر، وكانوا ينتظرون هذه اللحظة ويعرفون أنهم سيتعرضون، واستعدوا للهجوم. وهن يعرفون كل حي ورتاق في الزبداني، ولديهم محيط وبيئة حاضنة، وهم من أبناء تلك المنطقة ولديهم عقيدة قتالية وعددهم أكثر من 3 آلاف مقاتل.

وأشار إلى أن الجيش النظامي بشكل عام تعترضه صعوبة في خوض هذه المعركة بحسب القاموس العسكري، لا سيما دخوله بالكثافة في قتال شوارع، لذلك يعتمد

مصدر التهديد الفعلي، حيث تمت السيطرة على حي السطاني الغربي المدينة وحي الزلاخ وإغلاق المعبر الرئيسي إلى مضايا والدخول إلى دوار الكهراء قرب مسجد الهدي وشارع الحقل الأصفر. فيما تسيطر المقاومة على حوض العاصي بنسبة 90 في المئة وعلى سهل الغاب، فيما أوقعت المقاومة 17 قتيلاً في كمين

الموقع الجغرافي

بعد التقدّم الذي حصل في القلمون واستكمال ما تبقى من جرد عرسال شمالاً وحتى الطفيل وحام جنوباً، كان الخيار جبهة الزبداني لتحريرها، والتي تعتبر أحد أهم مداخل السلاح والمسلحين من لبنان إلى مناطق القلمون. تبعد الزبداني 45 كيلومتراً فقط عن العاصمة دمشق وثمانيّة كيلومترات عن الحدود اللبنانية السورية، وتطل بشكل مباشر على خط بيروت - دمشق، وتقع كمنطقة وسط بين دمشق وحمص ومنطقة الساحل في الشمال.

الزبداني تتجه إلى الحسم

مصدر مطلع على سير العمليات العسكرية أكد لـ«البناء» أن الجيش السوري والمقاومة سيطرا بشكل

انطلاق المعركة

بدأت معركة الزبداني في ريف دمشق في الثالث من تموز الجاري بقصف الجيش السوري بالمدفعية وراجمات الصواريخ والغارات الجوية لتجمعات المسلحين في المدينة.

بعد القصف المركز، شرّن الجيش السوري والمقاومة هجوماً مباغتاً ضمن عملية واسعة على المدينة من أربعة محاور رئيسية: من المحور الشرقي من جهة بلودان ومحور دوار الشلال، ومن محورين لجهة الغرب، من قلعة التل وقلعة الكوكو، ومن المحور الغربي الشمالي لناحية تل السديان من جهة معدر. وبدأت القوات الهجوم بالتقدم يسراً من المحاور المختلفة تحت تمهيد ناري بالقصف المدفعي والطيران.

وهدفت العملية إلى عزل المدينة وقطع أوصلها إضافة إلى عزل طريق الإمداد نحو سرقايا وعين حول لناحية القلمون من خلال تمكن قوات الجيش السوري والمقاومة من

الخرق السريع من بلودان من الجهة الشرقية ومن الجهة الغربية من تل السديان في قرية معدر، والتقت القوات في الوسط عند مرتفع كفر عامر (1411 متراً عن سطح البحر) المشرف على قلب مدينة الزبداني من الجهة الشمالية، وهكذا عُزلت المدينة بشكل كامل من الجهة الشمالية.

بعد العملية إلى عزل المدينة

وهدفت العملية إلى عزل المدينة وقطع أوصلها إضافة إلى عزل طريق الإمداد نحو سرقايا وعين حول لناحية القلمون من خلال تمكن قوات الجيش السوري والمقاومة من الخرق السريع من بلودان من الجهة الشرقية ومن الجهة الغربية من تل السديان في قرية معدر، والتقت القوات في الوسط عند مرتفع كفر عامر (1411 متراً عن سطح البحر) المشرف على قلب مدينة الزبداني من الجهة الشمالية، وهكذا عُزلت المدينة بشكل كامل من الجهة الشمالية.

من خصوصياتها أنها تمنح المتمركز فيها إمكانية السيطرة على خط بيروت دمشق وهنا قرر الجيش السوري والمقاومة الانتقاض على

